جليلُ النّبأ في تأويلِ
انفراداتِ يعقوبَ ورويسٍ في سورة سَبَأ

إعداد الدكتور

سعيد إبراهيم (محمد سعيد) النمارنة

الأستاذ المساعد في قسم الشريعة

ورئيس قسم الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة جدارا – الأردن

جليلُ النّبأ في تأويل انفرادات يعقوبَ ورويسٍ في سورة سبأ

د. سعيد إبراهيم (محمد سعيد) النمارنة

قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية القانون، جامعة جدارا، الأردن.

الإيميل الجامعي: s.namarneh@jadara.edu.jo

ملخص البحث:

إن علم تأويل وتوجيه القراءات من علوم القراءات المهمة التي تطرق أبواباً عدةً، وعلوماً شتّى؛ وقد اهتم العلماء الأقدمون ببيان وجه القراءة لغوياً ونحوياً وصرفياً ومعنوياً؛ وقد تناول البحث الحديث عن انفرادات الإمام يعقوب وراويه رويس في سورة سبأ؛ وذلك في ثلاثة مواضع بارزة؛ فدرس هذا البحث توجيهها، وبيّن وجه إعجازها، وأظهر جميل دلالاتها، ثم جاءت الخاتمة، والتي شملت بعض النتائج والتوصيات، ومن أهمها أن انفرادة رويس في الموضع الأول بيّنت تجاوز الأمر إلى عالم الإنس بعلمهم كذبَ الجن؛ وقد صورت هذه القراءة خزياً وعاراً اكتنف الجنّ بكذبهم وادّعائهم ما ليس فيهم، ومن النتائج المهمة –أيضاً– أن قراءة يعقوب في الموضع الثاني أخبرت استجابة الله دعاءهم، وإعطائهم سؤلهم؛ حيث باعد بين أسفارهم؛ بل أضفت معنىً جديداً –بعد نولهم المشقة–؛ وهو شكايتهم إلى الله البعد الحاصل الذي كان مرجواً، وتمنّيهم العودة على ما كانوا عليه من النعمة؛ وظهر في الموضع الثالث ما تصنعه الجملة الاسمية من معنى الثبوت، وأوصى البحث بضرورة دراسة انفرادات الأئمة القراء –رحمهم الله–؛ دراسة لغوية يستنبط من خلالها دلائل الإعجاز البياني، وغيره من سائر وجوه الإعجاز.

الكلمات المفتاحية: القراءات، التوجيه، سبأ، يعقوب، رويس، اللغة، الإعجاز.

Interpreting the Unicums of Yaʿqūb and Ruways in Sūrat Saba

Saeed Ibrahim (Mohammad Saeed) Al-Namarneh

Department of Sharīʿah and Islamic Studies, College of Law, University of Jadara, Jordan

Email: s.namarneh@jadara.edu.jo

Abstract

Interpreting the variant readings of the Qurʾān (*qirt*) is one of the important branches of the discipline of *qir□ʾ□t*, with bearings on various Islamic sciences. Classical scholars were concerned with explaining the linguistic, grammatical, morphological, and semantic aspects of the variant readings. This study addresses the Yaʿqūb and Ruways' unique variant readings (their unicums) in Sūrat Sabaʾ; in particular, three readings. The present study, thus, examined the interpretations of the variant readings of the verses, clarified the aspects of their miraculous eloquence, and highlighted the beauty of their meanings. The conclusion followed, presenting key findings and recommendations. Among the most significant results is that Ruways' unique reading, in the first case, demonstrates that the matter had extended beyond the human realm, wherein humans recognized the falsehood of the jinn. This reading also portrays the disgrace and shame that surrounded the jinn due to their lies and their false claims. Another notable finding is that Yaʿqūb's reading, in the second instance, reflects God's response to the supplication of the people and His granting of their request, as He increased the distance between their journeys. This interpretation further adds a new dimension: after enduring hardship, they expressed their complaint to God about the very separation they had once hoped for, now wishing to return to the previous state of blessing. In the third instance, the use of the nominal sentence was shown to convey a sense of permanence and constancy in meaning. The study recommends the necessity of conducting linguistic analyses of the unique readings of the Qurʾānic reciters—may God have mercy on them—through which the indications of rhetorical inimitability and other aspects of the miraculous expression may be discerned.

Keywords: Qirāʾāt (Qurʾānic variant readings), Interpretation, Sabaʾ, Yaʿqūb, Ruways, Language, Inimitability (*iʿj□z*).

المقدمة

الحمد لله الملك الخلّاق، الكريم الرزّاق، والصلاة والسلام على المبعوث متمّماً للأخلاق، نبيّنا محمدٍ المسبِّحِ بالعشيِّ والإشراق ما أينعت الأغصان واخضرّت الأوراق، وعلى آله وأصحابه الرفاق، ومن تبعهم على وفاق، صلاةً وسلاماً ممتدّين إلى يوم التلاق، وبعد:

فإنّي حينما كنت أقلّب النظر في صفحات من القرآن العظيم مستذكراً بعض الأوجه القِرائية، ومستصحباً شيئاً من الانفرادات الرّوائية؛ وقع بصري على سورة سبأ؛ فألفيتها تحتفل بعدّة انفرادات فرشية للإمام يعقوب الحضرمي، وراويه رويس؛ ثم أنعمت فيها النظر؛ وإذ بهذه المفردات الفريدة الفذّة حريٌّ بها وحقيق، وقَمِنٌ وخليق؛ بأن تُبحث في بحيثٍ يُبين وجوهها، ويكشف تأويلها، وينتصر لها؛ فاستعنت بالله المجيب القريب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

- الرغبةُ في الاطلاع على مظاهر الإعجاز في انفرادات بعض الأئمّة القراء.
- مكانةُ الإمام يعقوب؛ باعتباره أحد القرّاء الثلاثة المتممين للعشرة.
- قلَّةُ العناية بوجوه قراءة الأئمة الثلاثة المتمِّمين للعشرة مقارنةً بجوانب العناية المتعددة والمتنوعة لقراءات الأئمة السبعة رحمة الله على الجميع.
- ما كنتُ أراه رأي العين من حُلل البيان والفصاحة التي اكتستْ بها انفراداتُ الإمام يعقوب، وراويه رويس رحمها الله تعالى.
- الحاجةُ لمثل هذا النوع من الممارسات العلمية، والتي من شأنها أن تخلق تآلفاً بين علم القراءات، وغيره من العلوم ذات الصلة الوثيقة به.
- الحاجةُ لمثل هذه الكتابات العلمية، والتي من شأنها أن تدفع الظنَّ القائم عند بعضهم؛ الزاعم أن هذا العلم لا تعلق له إلا برواية الحروف فحسب.

الدراسات السابقة

إن علم تأويل وتوجيه القراءات من علوم القراءات المهمة التي تطرق أبواباً عدةً، وعلوماً شتّى؛ وقد اهتم العلماء الأقدمون ببيان وجه القراءة لغوياً ونحوياً وصرفياً ومعنوياً؛ ثم لما اتَّسعتْ مقاصدُ التأليف اعتنى بعض المتأخرين بالحديث عن وجوه الإعجاز في القراءات القرآنية[١]، في بحوثٍ متفرقة، ودراساتٍ متنوعة؛ لكنني لم أقف على مَن تناول وأفردَ ما دلَّ عليه عنوانُ البحث من الحديث عن انفرادات الإمام يعقوب وراويه رويس في سورة سبأ، وبيان وجوه الإعجاز في مواضع منها على سبيل الاستقلال؛ وهو ما حرَّك عندي بواعثَ البحث، وأثارَ كوامنَ هذه الدراسة، وبالله التوفيق.

خطَّةُ البحث: يحسنُ أن يكون بناءُ البحثِ على النحو التّالي:

المقدّمة وفيها أهميةُ الموضوع وأسبابُ اختياره، وخطّةُ البحث، ومنهجُ البحث.

يليه **التمهيدُ وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: في تعريف الانفرادة.

المطلب الثاني: ترجمة مختصرة للإمام يعقوب، وراويه رويس.

ثم يلي ذلك صلبُ البحث في ثلاثة مطالب درَسَت ثلاثةَ مواضع من سورة سبأ.

منهجُ البحث:

التزمتُ في بحثي هذا المنهجَ الاستقرائي ثم التحليليَّ في دراسة المواضع المختارة، وبيانِ توجيهها ووجه الإعجاز فيها، ملتزماً الخطواتِ العمليةَ التّالية:

- اقتصرتُ على الخلاف الفرشي فقط؛ فبه غالباً تظهرُ دلائلُ الإعجاز بوضوح.
- كما اقتصرتُ أيضاً على انفرادات الإمام يعقوب وراويه رويس.

---

(١) من هذه الجهود العلمية المشكورة: كتاب أثر القراءات في الفقه الإسلامي، للدكتور: صبري عبد الرؤوف عبد القوي، وكتاب: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، للدكتور: محمد بازمول، وكتاب: اختلاف القراءات وأثره في التفسير واستنباط الأحكام، للدكتور: عبد الهادي حميتو، وكتاب: الإعجاز البياني في ضوء القراءات، للدكتور: أحمد الخراط.

- التزمتُ طريق الدرة عن الأئمة ورواتهم.
- رتبتُ المواضعَ وَفْقَ ترتيبِ السُّورة.
- أذكرُ الآيةَ القرآنيةَ التي ورد فيها الخلافُ مبيناً موضعَها من القرآن الكريم؛ بذكر رقمِ الآية.
- أوجه قراءة الجماعة، ثم أبحر في توجيه الانفرادة ليظهر فرقانها، ووجه إعجازها، وجميل دلالاتها.
- ألتزمُ توثيقَ النصوصِ الواردةِ في البحث من مصادرها الأصيلة.

التَّمهيدُ: وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: في تعريف الانفرادة

▪ الانفرادة: ما يُعزى من أوجه القراءات إلى قارئ واحد من الأئمة، أو أحد رواتهم، أو أحد طرقهم، ومنها ما هو في عداد المتواتر، ومنها ما هو في عداد الشَّاذ، ويُعبَّرُ عنها بالتفرد والانفراد والأفراد[١].

▪ وهذا المصطلح المقصود منه في عنوان البحث القراءة المتواترة الواردة عن الإمام يعقوب وراويه رويس في سورة سبأ.

(١) انظر: معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات: ٣٢.

المطلب الثاني

ترجمة مختصرة للإمام يعقوب، وراويه رويس

الإمام يعقوب[1]: هو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي البصري؛ قد أخذ القراءة عن أبي الأشهب جعفر بن حيان العطاري، وأبي المنذر سلام بن سليمان الطويل، ومهدي بن ميمون، وشهاب بن شريفة.

ويعقوب هو أحد القراء العشرة وأمام أهل البصرة تصدر للقراءة والتحديث وكان تقياً ورعاً زاهداً وكان إماماً لجامع البصرة لسنوات برغم كثرة علماء البصرة؛ وقد توفي وعمره ثمان وثمانون سنة.

الإمام رويس[2]: هو أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري وهو من أحذق أصحاب يعقوب، والراوي الأول عنه، وروى عنه التمار الزبيري، وتوفي سنة ٢٣٨ه بالبصرة.

ثم يأتي الكلام في صلب البحث في تأويل ثلاث انفرادات تكمن في ثلاثة مواضع؛ سأسوقها موضعاً تلو الآخر مبيناً وجهها، وتأويلها، وإعجازها؛ فإليكها:

(١) انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي ٩٤، وغاية النهاية لابن الجزري ٣٨٦/٢.
(٢) انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي ١٢٦، وغاية النهاية لابن الجزري ٢٣٤/٢.

الموضع الأول

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ (١)

في قوله (تَبيَّنَتِ الجنُّ) قراءتان:

الأولى: قراءة جميع القراء إلا رويساً: (تَبَيَّنَتِ الجنُّ).

الثانية: قراءة رويس: (تُبُيِّنَتِ الجنُّ)(٢).

التوجيه: قد آتى الله سليمان الملك، وكان الجنّ خدماً له، ثم شاء اللهُ أن يموت سليمان وهو متكئٌ على منسأته؛ ولم تعلم الجن بذلك؛ فاستمرّت في الخدمة حولاً كاملاً؛ ثم شاء الله بعد انقضاء الحول أن تأكل الأرضة منسأته فخرّ عليه السلام ساقطاً بانكسار عصاه؛ حينئذٍ تبينت وعلمت وأدركت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب الذي كانوا يدّعونه ما لبثوا في الإهانة والخدمة، والعذاب والغفلة حولاً كاملاً؛ فيا للعار يدّعون الغيبَ وقد لبثوا في الخدمة حولاً كاملاً مليئاً بالمشقة والعنت، والهلكة والكبد؛ ومليكُهم ومخدومهم سليمان عليه السلام ميّتٌ ويحسبونه حيّاً؛ فالغيب لا يعلمه إلا الله تعالى؛ يقول الله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ (٣) ، هذا هو المعنى على قراءة الجماعة.

ومن لطيف وجميل ما أعجبني قول الزمخشري أبي القاسم: "علم المدّعون عجزهم، وأنهم لا يعلمون الغيب؛ وإن كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وإنما أريد بهم التهكم كما يُتهكم بمدّعي الباطل إذا دحضت حجته وظهر إبطاله"(٤)

(١) سبأ: ١٤.
(٢) انظر النشر لابن الجزري ٢٦٢/٢.
(٣) النمل: ٦٥.
(٤) الكشاف: ٥٨٣/٣.

أمّا قراءة فارسنا رويس بالبناء لما لم يُسمَّ فاعله[1] فهي تشير وتلمح لمعنىً آخرَ أشدّ خزياً وعاراً للجن؛ وهو تجاوز العلم والتبين بحال الجن الكاذب إلى أمة الإنس؛ حيث إنّ التقدير: تبينت الإنسُ الجنَّ؛ فالإنس علمت وتبينت، وأدركت وعقلت أن الجنّ كاذبون، وللغيب جاهلون ؛ فتبيّن للإنس صَغارُ الجن واستكبارهم فيما يموهونه، وجهلهم وكذبهم فيما يدّعونه؛ فبانَ اللثام، وانكشف الغطاء على التمام[2]

ومن الشواهد على هذه القراءة القراءة الشاذّة: (تَبَيّنَتِ الإنسُ أنّ الجنَّ...)[3]، أو (أن لو كان الجنُّ)، حيث نقل النحاس في المعاني[4] قول قتادة فقال: "قال قتادة: وفي مصحف عبد الله بن مسعود: تبيّنت الإنسُ أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين"

فانظر ــ رعاك الله ــ إلى الإعجاز الباهر، والمعنى العذب التى تحققه القراءتان بانضمامهما لبعضهما، ولاحظ كيف أنّ قراءة رويس أضفت معنىً آخر على الموقف؛ حيث قراءة الجماعة أعلمتنا أن الجنّ أنفسهَم علموا قصورهم، وأدركوا نقصهم، وتيقنوا كذبهم، وعرفوا جهلهم؛ وقد يكون المعنى كذلك أنّ صغار الجن كشفوا كذب كبرائهم الذين كانوا يموهون عليهم بادعاهم معرفة الغيب فلا منافاة!!

أما قراءة رويس فبيّنت تجاوز الأمر إلى عالم الإنس بعلمهم كذبَ الجن؛ وقد صورت هذه القراءة خزياً وعاراً، ومهانة وشناراً اكتنف الجنّ بكذبهم وادّعائهم ما ليس فيهم.

---

(1) يقول ابن أبي مريم: تُبُيِّنت على وزن تُفُعِّلت؛ يقال: تَبَيَّنْتُ الشيءَ إذا علمْتَه؛ فتَبَيَّن؛ أي ظهر حتى عُلم؛ فمعنى تُبُيِّنَت: عُلِمَت. الموضح ١٠٤٧/٢.

(2) انظر فيما سبق كله: جامع البيان للطبري ٢٣٩/١٩-٢٤٤، والمعاني للنحاس ٤٠٣/٥-٤٠٥، والكشاف للزمخشري ٥٨٣/٣، والموضح لابن أبي مريم ١٠٤٧/٣، والبحر المحيط لأبي حيان ٥٣٢/٨، والدر المصون للسمين ١٦٧/٩-١٦٩، وغيرها.

(3) انظر جامع البيان للطبري ٢٤٣/١٩.

(4) ٤٠٥/٥.

ومن تأمل بعين البصر والبصيرة علم صدق ما قعّده العلماء بقيلهم: "إن تعدد القراءات بمنزلة تعدد الآيات"[١]

وفي الختام، ونهاية الكلام في هذا الموضع أنبّه على أمر؛ وهو أنّ قوله تعالى: "أن لو كانوا يعلمون الغيب" تكون على قراءة الجماعة مؤولة بمصدر في محل نصب مفعول به؛ وقوله: (الجن) فاعل؛ والتقدير: تَبيَّنت الجنُّ كونَهم لو يعلمون الغيب...

أمّا على قراءة رويس فتكون مؤولة بمصدر في محل رفع بدل من (الجن) التي هي نائب فاعل والله أعلم.

(١) انظر التحرير لابن عاشور ٩٦/١، والقواعد لخالد السبت ٨١٦/٢.

الموضع الثاني

قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩﴾ (١)

فيها ثلاث قراءات:

الأولى: (ربَّنَا بَعِّدْ) وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وهشام.

الثانية: (ربُّنَا باعَدَ) وهي قراءة يعقوب.

الثالثة: (ربَّنَا باعِدْ) وهي قراءة الباقين(٢).

التوجيه: لا شك أن التقدير في قراءة الجماعة: "يا ربنا باعد أو بعّد بين أسفارنا"؛ فهي دعاءٌ وطلبٌ ومسألةٌ من القوم لله بأن يجعل بينهم وبين الشام فلوات، ومفاوز، ونواءٍ، ونواحٍ ليسافروا إليها ركوباً على الرواحل، ويتزودوا في سفرهم الزوائد؛ وقد كان الله منّ عليهم؛ فقربّ بينهم المسافات، ومنعهم الفلوات، وجعل سيرهم بين القرى مقدّراً ميسوراً آمناً تمنناً وتفضلاً منه سبحانه؛ لكنّ الأشرين بطروا النعمة، وجهلوا العافية، ولم يعتدّوا بما أنعم الله عليهم؛ فسألوا ربهم أن يباعد أسفارهم تبرمّاً بالرخاء والرفاهية، وظنّاً منهم بأنّ المتعة كائنة في السفر ركوباً على الرواحل، والفرحةَ بالتزوّد للأسفار بالأكل والسوائل!!

أمّا قراءة يعقوب؛ فقوله (ربُّنا) مرفوعةٌ على وجه الابتداء، وفي القراءة إخبارٌ عن الله بأنه استجاب لطلبهم، وأعطاهم منالهم؛ وفيها أيضاً إشارة جميلة، وإلماحة جليلة، وصورة نبيلة تُصور بأنهم أخبروا ما فعل الله بهم على وجه الشكاية والتحسر

(١) سبأ: ١٩.
(٢) انظر النشر لابن الجزري: ٢٦٢/٢.

والرجاء بأن يرجعهم الله كما كانوا؛ ولكنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم النعم؛ فمزقهم الله كل ممزق، وغدوا مثلاً يُضرب، ونحواً ينتحى[١]؛ وفي ذلك يقول كثير[٢]:

أيادي سبا يا عَزَّ ما كنتُ بعدكُمْ ** فلمْ يحْلُ للعَيْنَيْنِ بعدَكِ مَنظرُ

وقد أنزل الله هذه المعاني في العرضتين؛ مرّة بدعائهم وأخرى بإخبارهم ما حلّ بهم وشكايتهم إلى الله؛ فتأمّل ما أجمل القراءتين!!؛ فكلّ واحدةٍ مبنيةٌ على الأخرى؛ حيث إنّ كلّ قراءة صوّرت صورة تختلف عن أختها؛ وكأنّ التصوير في القراءتين يجعل الموقف مرّ بمراحل؛ حيث في بداية الأمر كانت قراهم قريبة لا بعدَ فيها نعمةً من الله؛ لكنّهم لم تعجبهم هذه النعمة؛ فكفروها، وبشموا الراحة وسئموها، وآثروا الدعة وطلبوها؛ فطلبوا وألحوا على الله بطراً وأشراً؛ بأن يباعد بين أسفارهم ظانّين أنّ الحياة أحلى بركوب الرواحل، واجتياز المفاوز، وسكب العرق وصولاً إلى المبتغى؛ هذا ما تصوّره القراءة الأولى؛ أمّا قراءة يعقوب؛ فأخبرت استجابة الله دعاءهم، وإعطائهم سؤلهم؛ حيث باعد بين أسفارهم؛ بل أضفت معنىً جديداً –بعد نولهم المشقة–؛ وهو شكايتهم إلى الله البعد الحاصل الذي كان مرجواً، وتمنّيهم العودة على ما كانوا عليه من النعمة والإلِى؛ كما فعل بنو إسرائيل في أكثر من مرة كما قصّ الله في كتابه.

لكنّ الله عاقبهم بكفرانهم النعماء، وجحودهم الآلاء؛ وهذا مصير كلّ من يكفر النعم؛ وما أجمل قول ابن عاشور في تحريره[٣]: "من أكبر أسباب زوال النعمة كفرانها؛ قال الشيخ ابن عطاء الله الإسكندري: "من لم يشكر النِّعم فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيّدها بعقالها""، والنعم إن شُكرت قرّت، وإن كُفرت فرّت.

---

(١) انظر فيما سبق كله: جامع البيان للطبري ٢٦٥/١٩، والمعاني للنحاس ٤١١/٥، وإعراب القراءات السبع لابن خالويه ٢١٨/٢-٢١٩، والمحتسب لابن جني ١٨٩/٢، والكتاب المختار لابن إدريس٧١٢/٢-٧١٣، والجمع والتوجيه للرعيني ٦٩، وتفسير البيضاوي ٢٥٨/٢، والموضح لابن أبي مريم ١٠٥١/٣-١٠٥٢، والبحر لأبي حيان ٥٣٩/٨، والدر للسمين ١٧٥/٩-١٧٦، وغيرها.

(٢) انظر ديوانه ٨١/١.

(٣) ٤٣/٢٢.

الموضع الثالث

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧﴾ [1]

فيها قراءتان:

الأولى: (جزاءَ الضِّعْفُ) وهي قراءة رويس مع كسر التنوين وصلاً للساكنين.

الثانية: (جزاءُ الضِّعْفِ) وهي قراءة الباقين[2].

هاتان القراءتان حالهما حالُ القراءتين في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ٨٨﴾ [3]

أمّا قراءة الجماعة فبيّنة المعالم؛ حيث إنّ (جزاء) مضاف على أنه مصدر مضاف لمفعوله؛ والتقدير: (يجازيهم الله الضعفَ) على المبني للمعلوم، أو على البناء للمجهول (يُجزون الضعفَ)[4]

أمّا قراءة رويس ففيها إعرابان:

الأول: أنّ (أولئك) مبتدأ، و(لهم) خبر، و(الضعف) بدل من موقع (لهم)، و(جزاءً) حال، والعامل فيها الاستقرار، وما في (لهم) من معنى الفعل.

الثاني: أنّ (جزاءً) حال كذلك، و(أولئك) مبتدأ أول، و(الضعف) مبتدأ ثان، و(لهم) خبر لـــ (الضعف)، والجملة خبر المبتدأ الأول.

---

(1) سبأ: ٣٧.

(2) انظر النشر ٢٦٣/٢.

(3) الكهف: ٨٨.

(4) قد قدّره الزمخشري: على البناء للمجهول في الكشاف: ٥٩٥/٣-٥٩٦؛ لكنّ أبا حيان ردّه ووهنه؛ انظر البحر المحيط: ٥٥٥/٨.

وعلى كلّ حال؛ فليكن منك على بال؛ بأنّ قراءة رويس كقولك: في الدار قائماً زيدٌ؛ ويكون التقدير : (لهم الضعفُ مجزيّين به)، أو (لهم الضعفُ جزاءً)؛ والضعف قد يكون بعشر أمثال الحسنات، أو مطلقاً ؛ وكأنه قال: جوزوا ذلك جزاءً[1].

والملاحظ أنّ التقدير في قراءة الجماعة يكون بجملة فعلية، أما على قراءة رويس فالتقدير جملة اسمية؛ والجملة الاسمية أثبت وأشدّ، وأقوى وآكد من الفعلية كما هو معلوم والله أعلم؛ ولذلك كانت تحية إبراهيم عليه السلام أحسن وآكد من تحية الملائكة الضيفان؛ فهم سلّموا بجملة فعلية وهو ردّ باسمية.

وختاماً لا ريبَ أنّ تغيّر الحركات الإعرابية، أو البنائية في الحرف القرآني، وكذلك التنقلّ من المبني للمعلوم إلى المجهول؛ كلّ ذلك مؤذنٌ بتغير المعنى، أو تأكيده، أو إضافة معنىً لطيفٍ حسنٍ؛ فسبحان منزّل القرآن على سبعة أحرف تيسيراً وتسهيلاً!!

وبهذا قد انتهى الكلام على هذه الانفرادات الفرائد، المليئة بالفوائد، المستكملة العواضد؛ وإنّي بعد هذه الإطلالة السريعة، والتحليق الجميل في سماء لطيف هذه الانفرادات في هذا البحيث؛ لأوصي بمزيد العناية بانفرادات القراء توجيهاً وبياناً؛ حيث فيها الكمّ الهائل من المعاني اللطيفة الجسيمة؛ ولا شكّ أنها تُضفي على الآي القرآني جمالاً فوق جمال، وكمالاً على كمال؛ وإنّ القراءات إن حيكت ونسجت مع بعضها؛ فإنها تُنتج ثوباً جميلاً من الإعجاز الذي يدل على قوة بيان، وبلاغة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يستطيع أحد على معارضته؛ بصّرنا الله بدلائله، ولطيف إشاراته وبيّناته؛ اللهم آمين.

هذا والله أعلم وصلى الله على رسول الله ﷺ.

---

(1) انظر فيما سبق كله: الجمع والتوجيه للرعيني ٧٠، والموضح لابن أبي مريم ١٠٥٥/٢، والكشاف للزمخشري ٥٩٥/٣-٥٩٦، والبحر لأبي حيان ٥٥٥/٨، والدر المصون للسمين ١٩٥/٩، والنشر لابن الجزري ٢٦٣/٢، وغيرها.

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة، تحسن الإشارة إلى أهم نتائج البحث على النحو الآتي:

١- ظهور وجه الإعجاز البلاغي في القراءات القرآنية.

٢- ضرورة العناية بقراءة الإمام يعقوب، من حيث توجيهها، ومعرفة مسالكها اللغوية، ومعانيها المتنوعة.

٣- العناية بانفرادات يعقوب توحي بشيء من أسباب الاختيار ودوافعه.

٤- الحاجة إلى ظهور هذا النوع من الدراسات القرآنية، والتي تكشف بوضوح وجلاء مظاهر الإعجاز في كتاب الله تعالى.

٥- إن انفرادة رويس في الموضع الأول بيّنت تجاوز الأمر إلى عالم الإنس بعلمهم كذبَ الجن؛ وقد صورت هذه القراءة خزياً وعاراً، ومهانة وشناراً اكتنف الجنّ بكذبهم وادّعائهم ما ليس فيهم.

٦- إن قراءة يعقوب في الموضع الثاني أخبرت استجابة الله دعاءهم، وإعطائهم سؤلهم؛ حيث باعد بين أسفارهم؛ بل أضفت معنىً جديداً -بعد نولهم المشقة-؛ وهو شكايتهم إلى الله البعد الحاصل الذي كان مرجواً، وتمنّيهم العودة على ما كانوا عليه من النعمة والإلِى.

٧- في انفرادة رويس في الموضع الثالث يكون التقدير جملة اسمية؛ والجملة الاسمية أثبت وأشدّ، وأقوى وآكد من الفعلية كما هو معلوم.

التوصيات

١- دراسة انفرادات الأئمة القراء رحمهم الله؛ دراسة لغوية يستنبط من خلالها دلائل الإعجاز البياني، وغيره من سائر وجوه الإعجاز.

٢- توجيه الاهتمام التام لدراسة مسائل الإعجاز في القراءات القرآنية، وعدم الاقتصار على جانب التوجيه.

٣- اعتماد مقررات علمية لدراسة مسائل الإعجاز في القراءات القرآنية، في الدراسات الأكاديمية، في الأقسام ذات الصلِّة.

ثَبْتُ المصادر والمراجع

- "إعراب القراءات السبع وعللها"، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هجرية.
- "البحر المحيط في التفسير"، لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، عناية: الشيخ زهير جعيد، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٣٢ هجرية.
- "التحرير والتنوير"، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هجرية.
- "الجمع والتوجيه لما انفرد به يعقوب الحضرمي"، لأبي الحسن شريح بن محمد الرعيني، تحقيق: د/ غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هجرية.
- "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون"، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: د/ أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هجرية.
- "الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار"، لأبي بكر أحمد بن عبيد الله ابن إدريس، تحقيق: د/ عبد العزيز الجهني، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هجرية.
- "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، لأبي القاسم محمود الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـــجرية.
- "المحستب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها"، لأبي الفتح عثمان ابن جني، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هجرية.
- "الموضح في وجوه القراءات وعللها"، لنصر بن علي الشيرازي المعروف بابن أبي مريم، تحقيق: د/ عمر حمدان الكبيسي، مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر

والبحث العلمي، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦ هجرية.
- "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هجرية.
- "ديوان كثيّر عزّة"، جمع وتحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م.
- "غاية النهاية في طبقات القراء"، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، بعناية برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هجرية.
- "قواعد التفسير"، لخالد السبت، دار ابن القيم في الرياض ودار ابن عفان في القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هجرية.
- "معاني القرآن الكريم"، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، طبع جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هجرية.
- "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار"، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات. الدوسري، د. إبراهيم بن سعيد. مطبوعات جامعة الإمام، ط١، ١٤٢٥هـ.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. الذهبي، محمد بن أحمد. تحقيق: بشار عواد وزميليه. مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
- النشر في القراءات العشر. ابن الجزري، محمد بن محمد. أشرف على تصحيحه: علي بن محمد الضباع. دار الكتاب العربي «بدون تاريخ».